

# صعدة القديمة



## لؤلؤة في صدف الطين

تعتبر صعدة من أهم المدن التاريخية. إذ لا تزال محافظة على تراثها الحضاري وطابع بناؤها المعماري الفريد الذي جعلها بحق لؤلؤة فريدة في التراث الحضاري لليمن السعيد  
أخطها الهادي بن الحسين عاصمة لدولته في القرن الثالث الهجري فتحوّل إلى السهل بعد أن كانت تقع على جبل ..... تملص وجبل اطرف شرق المدينة الحالية .. اشتهرت بصناعة السيوف (الصعدية أو الصاعدية) وكانت موضع الدباغة في الجاهلية الجهلاء. قال عنها أبو الحسن الهمداني إنها من مواضع النياحة على الموتى إلى جانب الجوف و خيوان.  
ربما لكثرة الصراعات والنزاعات التي لازمتها في فترات التاريخ المختلفة ..... وما نجم عن ذلك الصراع والنزاع من ضحايا ونواح.

### مدينة التناقضات

قد تبسم باسمه عريضة جدا وأنت على مشارف مدينة صعدة حين تقرا على أحد اللوحات النصوية في مدخل المدينة ... (مرحبا بكم في مدينة السلام) ... وقد تفهقه بشكل هستيري وتقع على فقاك حين ترى آثار طلاقات تاريخية أسفل اللوحة ..... وستعتقد جازما حينها أن إطلاق هذه التسمية ما هو إلا من باب تشبيه الضد بالضد. على غرار تسمية الأعمى بالبعير ..

لكك حينما تعبر النظر في صعدته وتاريخ صعدته .. وتترك حجم التناقضات والتباينات التي تعاقبت على ترقى هذه الأرض المعطاءة لفترات طويلة من الزمن ..... سنعلم حينها مقدار الخطأ الذي وقعت فيه ..... فعلى مرمرى حجر من مدينة صعدة، في دماغ تحديد الواقعة إلى الجنوب من المدينة بمسافة تقدر بـ 10 كيلومتر تقريبا ... أشرفت أنوار الفكر السلفي .. بعد أن أسس الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله .. دار الحديث فيها لا يزال مقصد الطلاب العلم من جميع أنحاء اليمن .. بل ومن خارج اليمن؟؟؟؟ وفي الشمال من مدينة صعدة في ضحان 20 كيلو متر تقريبا .. (ومثل ما بين الشمال والجنوب من تضاد) .. كان هناك منهل آخر للفكر الإسلامي يبدل لوجهه معايرة بعض الشيء .. مثل امتدادا طبيعيا للزبدية الهادوية التي خطها الإمام الهادي بن الحسين مع وجود بعض نقاط الاختلاف بينهما ..

هذا بالإضافة إلى تناقضات أخرى كثيرة، على أبرزها ما حث به الأقلية اليهودية التي عاشت لفترات طويلة في هذه المحافظة آمنة على ممتلكاتها وأراضها ومعتقداتها الدينية ..... رغم الصراعات الكثيرة والمختلفة التي عانت منها المحافظة .. سلالية .. قبلية .. ولفترة كبيرة من الزمن ..... ورغم انتشار السلاح بشكل فوضوي ومجنون في هذه المحافظة، يجعل من حالات القتل والنزاعات العشوائية أمر طبيعي في مثل هكذا ظروف ..... ولا ينفي بأي حال من الأحوال صفة السلام عن صعدته مدينة السلام.....؟؟؟؟

### مقبرة القرظين

في وسط مدينة صعدة .. وعلى مساحة واسعة منها .. تتربع مقبرة القرظين بأمتدادها الكبير، والذي يحكي أحقابا كثيرة من الصراع جعل الدفين إلى القرظين أكثر عددا ووعدة من الوافدين إلى مقصور صعدة .. بل واتسعت هذه المقبرة لكل المتخاصمين بعد أن ضاقت عليهم صعدته بما رحبت ..

يخيل إليك وأنت تجول بناظر في أبعادها .. أنك ستري عزرائيل ومنكر ونكير وهم يتصببون عرقا بعد أن قضوا وقتا مضنيا جنتا وهاها في القرظين .. وسيبرد إليك طرفك خاسئا عن إدراك أبعادها.....؟؟؟؟

هذه المقبرة تعد من أكبر المقابر ليس في اليمن وحسب بل على مستوى الوطن العربي ككل .. حيث تحوي هذه المقبرة آلاف الألواح والمشاهد، والتي دونت عليها معلومات مختلفة عن الميت والفترة التي عاش فيها .. مما يعيد المؤرخون مادة دسمة للدراسة والبحث.....؟؟؟؟

حيث خصها بعض الدارسين العرب باهتمامهم وكتبوا فيها الجوث المختلفة .. لما حوته هذه المقبرة من شواهد تاريخية للكثير من الأحداث والوقائع التي حدثت في الأزمنة الغابرة .. من شيدت صعدته أواخر القرن الثالث الهجري بأمر من الإمام الهادي بن الحسين مؤسس الدولة الزيدية، وجعلها عاصمة لدولة.....؟؟؟؟

### لؤلؤة في صدف الطين

ينتاب المرء شعور غريب حين يدلف إلى صعدة القديمة وحين يشاهد تلك الأبنية العالية التي شيدت من الطين الرخو وزينت بالمشاريب المقضضة والنوافذ والأبواب الخشبية التي لا تخلوا من أشكال هندسية منحوتة بعناية ملغفة .. وقد يرد إليه طرفه ليس خاسئا بل محتارا إذ كيف تمكن الإنسان هنا من تحويل ذرات التراب المتناثرة إلى قوام متماسك لا تشبه عوامل الهدم على كثرتها،

### مهند خالد المرشد

تصوير/ حسين القحيشي

وكان الإنسان هنا منح ذلك التراب بعضا من صلابته وجلده، فتصلب وتجلد أبنينا عالية مناسفة ذات نوافذ خشبية صغيرة - دعت ضرورات الصراعات المختلفة إلى بقائها بهذا الحجم..... ما يميز أبنية الطين هذه أنها تعمل على تكيف الجو .. حيث تحتفظ بالدف في ليالي الشتاء البارد وتخفض من حرارة الصيف الحارقة ..

تمتد هذه الأبنية المتفاوتة الارتفاع مشكلة لوحة فنية بديعة تحكي قصة أزمنة بعيدة من الجمال والإبداع ..

### سور صعدة .. مشرق منبهى

كما تحتضن الأم وليدها، ويذات القدر من الحنان والعطف، نامت صعدة قريرة العين في حضن سورها القديم، وظل هو ساهرا، لا عوى الذيب من خلف أبوابه هزه ولافت في عهده معول الوقت ..؟؟

هذا السور عبارة عن حزام ترابي يحيط بالمدينة من جميع الجهات، تتخلله العديد من النوبات المرتفعة التي كانت تستخدم كنوبات حراسة ومراقبة، يصل ارتفاع السور إلى 6 أمتار تقريبا، يعرض أكثر من ثلاثة أمتار، وله أربعة أبواب بالاتجاهات الأربعة أهمها باب اليمن وباب السلام وباب نجران

حضى هذا السور باهتمام كبير من قبل الدولة ممثلة بالهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية التي تتولى مسؤولية الإشراف والمتابعة لعملية الترميم، حيث تم إنجاز أكثر من 085/0 منه حتى الآن.

### قلعة القشلة

فوق تلة مرتفعة تشكلت من خبث الحديد، نعم تله مرتفعة تشكلت من خبث الحديد، الذي طوعته أنامل الإبداع اليمني القديم سيوقا صعدية تشع الهامات وختاجر بديعة تزدان بها الخواصر؟؟ بنا الأجداد أيضا تحفة معمارية فريدة حتى تتلازم مهارة البناء وحذق الصانع، في معلم

بديع اسمه القشلة، القلعة الدائرية الشكل بطوايقها الأربعة المبنية بالبحر الأبيض والأجر والطين، والتي تتوسط سور رباغي الزوايا يزيد ارتفاعه عن 6 أمتار، تلتصق به من الداخل غرف متجاورة من طابقين وبهو واسع من الداخل جعل من القشلة مكانا مناسبا لتكون متحفا مفتوحا في المحافظة .. بنيت هذه القلعة في عهد شمس الدين بن شرف الدين في القرن العاشر الهجري .. وقد تم ترميمها حديثا

باب نجران بصعدة



المنحوتة في الصخر لخزن الحبوب بالإضافة إلى مسجد وأكثر من 30 منزلا حيث كان الحصن بمثابة مدينة مسورة بسور من الحجر ذو باب واحد يسمح بعملية الدخول والخروج من الحصن ... يذكر المؤرخون أن قبائل خولان بني عامر اعصمت بهذا الحصن عند غزواه الأشرم مكة في حملته المعروفة لهدم الكعبة .. كما يوجد في الحصن بعض النصوص المكتوبة بخط المسند والتي تحكي دعوة الوالي الحميري صنع بن حبش بن أبناء قبائل الجنوب وبشمان لبناء سدنين للمياه؟؟؟

كما يوجد في صعدة العديد من التراث والحصون مثل حصن بني عوير الذي يعود إلى العصر الجاهلي، وحصن العلاء في جبل ظفار والذي كان يستخرج منه الحديد وكان القدماء يوقدون عليه النار لعبادتها في الجاهلية، وقلعة حرم في رازح وهي قلعة حمرية بها العديد من المدافن والسدود الصغيرة، وحصن الفتح في خولان وتلصق الواقع على جبل تلمص المطل على مدينة صعدة والذي كان مقرا لأمرأ حمير في صعدته، وفيه يقول الشاعر:

تلمص القباب في تلمص كالبيض من تحت الخلا  
فيه نوال مثل ثعبان النص فحل لديه كل فحل كالخصي  
وغير ذلك الكثير من القلاع والحصون التي لا يتسع المقام لذكرها ..

### جامع الهادي

يقع جامع الهادي الذي بناه الهادي بن الحسين في القرن الثالث الهجري داخل مدينة صعدة القديمة ..

وعلى عكس طابع البناء السائد في هذه المدينة الذي يستخدم الطين مائه أساسية، استخدمت الأحجار في بناء هذا الجامع، وينفس الأسلوب الهندسي السائد في بناء المساجد القديمة، حيث يتوسط المسجد صوح واسع مكشوف يخطط به بناء مسقوف تعلوه قباب بأحجام مختلفة والمسجد مزين من داخله بالنقوش البديعة والأعمدة والأقواس .. بالإضافة إلى منبذة كبيرة يصل ارتفاعها 37 مترا

ويحيط هذا الجامع بقفاس كبيرة في نفوس المواطنين كونه يحوي ضريح الإمام الهادي يحيى بن الحسين وأضرحة أخرى للعديد من الأمراء والعلماء الأعلام .. كما يحتوي المسجد على مكتبة فيها الكثير من المخطوطات النفيسة العلمية والفكرية غير أن هذه المكتبة تعرضت للسطو والنهب غير مرة .. كما يوجد في صعدة العديد من المساجد التاريخية الأخرى الضاربة في القدم مثل مسجد عز الدين في مدينة ساقين ومسجد غافل في القشة ومسجد مشهد أحمد بن سليمان في حيدان ومسجد نيد البارقي في مديرية منبه ومسجد القلعة في رازح

### بارقة أمل

مع ما تخر به صعدة القديمة من معالم أثرية عريقة وطابع معماري فريد ما زال يحتفظ بالكثير من ملامحه البديعة .. إلا إن الكثير من تلك المعالم بحاجة ماسة إلى التفات سريعة من قبل الدولة بأجهزتها المختلفة المعنية بالمحافظة على المعالم الأثرية .. ولعل بارقة الأمل التي جاءت بالبشرى لكل محبي صعدة هي افتتاح فرع للهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية في هذه المحافظة، ستعمل على عانقتها مسؤولية ترميم معالم المدينة وإزالة ما خلفته السنين والأيام عن حسن هذه الحساء العريقة الظاربة بجذور تاريخها في أعماق التاريخ وإعادة تأهيل مواقعها الحرفية المختلفة .. وتمت استحداث الأبنية الحديثة داخل سورها الذي يسي إلى منظرها العام.

يزيد من ثقتنا هذه مقرفتنا بما يتمتع به مدير فرع الهيئة بصعدة من إرادة ورؤية ثاقبة وما يحمله من حب عظيم سوف يؤتي أكله ..

لصالح صعدة ... لؤلؤة التاريخ في صدف الطين...؟؟

